

المركز القومي للترجمة
عالم الطفل

المشروع القومي للترجمة

دومينيك دومير

المُدرِّسة العجيبة

ترجمة: أمل راغب

2134

كان الصمت يُخيم على الفصل فى ذلك الصباح؛ بحيث يُمكن سماع رنين الإبرة إن سقطت فيه. وكان وقع خطوات عجيب يتردد صداه فى الردهة: "تيك ... تيك ... تيك ..." وفجأة، فُتِحَ الباب، وظهرت على عتبته سيدةٌ عجوز غريبة الشكل وبالغة الطول والنحافة. إنها مُدرِّستنا الجديدة: الأنسة "شارلوت".

تُقدِّم المؤلفة للصغار قصةً طريفة وشيقة بطلتها مُدرِّسةٌ عجوز غريبة الأطوار والأفكار؛ ولكنها تستطيع أن تجتذب الجميع إليها وتؤثر فيهم.

قصة طريفة وشيقة، من بدايتها إلى نهايتها، تُدافع بصورةٍ مُمتعة عن حق الاختلاف. لو كانت كل المُدرِّسات هكذا؛ لأردنا جميعًا بالتأكيد العودة إلى المدرسة!



تصميم الغلاف: نسرين كشك

المُدِّرسة العجيبة

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

سلسلة عالم الطفل
المشرف على السلسلة: يعقوب الشارونى

- العدد: 2134
- المدرسة العجيبة
- دومينيك دومير
- أمل راغب
- الطبعة الأولى 2012

هذه ترجمة:

La Nouvelle Maîtresse
Par: Dominique Demers

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

المُدَرسة العجيبة

تأليف : دومينيك دومير

ترجمة : أمـــل راغـــب



2012

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دومير، دومينيك.
المدرسة العجيبة/ تأليف: دومينيك دومير، ترجمة: أمل راغب
ط ١ - القاهرة : المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢
٨٠ ص ، ٢٠ سم
١ - القصص الإنجليزية
٢ - قصص الأطفال
(أ) راغب، أمل (مترجمة)
(ب) العنوان ٨٢٣

رقم الإيداع ٤٠٨٠ / ٢٠١٢
الترقيم الدولي : 978-977-704-979-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

مقدمة المترجمة

اجتذبت هذه القصة من أدب الأطفال الكندى اهتمامى وحازت على إعجابى واخترتها للترجمة؛ لأن بطلتها، على الرغم من أنها مُدرِّسة عجوز غريبة الأطوار، فقد أعطت تلاميذها مساحة من الحرية فى اختيار ما يُريدون فعله فى المدرسة؛ مكّنتهم من اكتشاف مواهبهم وتنميتها، جنبًا إلى جنب، مع دراستهم. الأمر الذى أكسبهم ثقة فى أنفسهم، وقوة وقدرة على تمييز الأمور، واختيار ما يُناسبهم منها ويتماشى مع شخصياتهم وميولهم.

فضلاً عن أن مساحة الحرية التى أعطتها المُدرّسة العجوز لتلاميذها؛ لم تمنعها من أن تشجب بشدة وتأخذ موقفًا رافضًا وحاسمًا من السلوكيات الخاطئة، المُنتشرة فى المدارس، المُتمثلة فى العنف والسباب وعدم احترام الآخر. وكان لموقفها الصارم من الخطأ أثره الإيجابى فى تهذيب تلاميذها وإصلاح سلوكياتهم مهما شق عليهم الأمر؛ لإيمانهم بها، على الرغم من صغر سنهم، واقتناعهم بأسلوبها ومبادئها.

ومن خلال أداء رسالتها التعليمية والتربوية، زكّت المُدرّسة العجوز فى تلاميذها الإحساس بالمسئولية وروح التضامن والمُثابرة؛ من أجل تحقيق أهدافهم التى يجب أن تتسم بالإيجابية والنُبل، وتسهم فى الارتقاء بقدراتهم على الابتكار والإبداع كلٌ فى مجاله.

وركّزت القصة على أهمية الشعور بالمُتعة الحقيقية البنّاءة فى إتمام كل عملٍ يُقدم عليه الإنسان؛ حتى يبرع فى إنجازه على أكمل وجه دون أن يُصيبه التراخى أو التقاعس؛ نتيجة لسوء اختيار الهدف أو عدم وضوحه، ومن ثم عدم الإيمان به.

وحتى يتسنى للقارئ العربى الصغير التعرُّف على الأجواء التى دارت فيها أحداث القصة وتحقيق الاستفادة الكاملة من المعلومات الواردة بها، تمّت الاستعانة فى الترجمة ببعض الصور المُعبِّرة وإضافة التعليقات اللازمة لها.

أمل راغب

الفصل الأول

مُدرسة ... مجنونة جداً !



ثمار الـ "كليمونتين"

من الموالح التى تُشبه فى الشكل والطعم ثمار "اليوسف أفندى"، ولكنها خالية من البذور.

وتكشف الأبحاث الحديثة عن أنها خليط من ثمار "اليوسف أفندى" والبرتقال "السُكرى".

وعلى الرغم من أنها تُزرع فى بلدان شمال إفريقيا، خاصة المغرب العربى، فإنها ذائعة الصيت فى دول الغرب؛ حيث يُفضلونها على ثمار "اليوسف أفندى"؛ لخلوها من البذور وسهولة تقشيرها.

(المترجمة)

تسير المُدرِّسات، فى العادة، بسرعةٍ كبيرة؛ فهن دائمًا فى عجلةٍ من أمرهن. وتصطدم كعوب أحذيتهن بأرضية الردهة مُحدثةً: "توك! توك! توك! توك! توك!" ولكن الوضع، فى هذا الصباح، كان مُختلفًا؛ إذ يبدو أن مُدرِّستنا الجديدة كانت تتمهل إلى حد كبير فى سيرها. فقد كنا نسمعُ وقع خطوتين صغيرتين أو ثلاث على الأكثر: "تيك! تيك!" ثم يختفى الصوت كليّةً، كما لو كانت المُدرِّسة الجديدة تتلكأ فى الردهة بدلاً من أن تُسرع!

كان الصمت يُخيِّم على الفصل؛ حيث يُمكن سماع رنين صوت الإبرة إن سقطت فيه. فقد كنَّا- جميعًا- نتَحرَّقُ شوقًا لنرى أخيرًا وجه مُدرِّستنا الجديدة. فلم نكن نتحدَّث، منذ أسبوعٍ، إلا عنها. ولم يكن أحدٌ منَّا يعرفُ شكل هذه الشخصية الغامضة التى جاءت إلينا من بلدةٍ أخرى. فقد كانت مُدرِّستنا السابقة، مدام "چيرمان"، حُبلى وعلى وشك أن تضع طفلها.

وفجأة، فُتِحَ باب الفصل، وظهرت على عتبته سيدةٌ عجوز طويلة القامة جدًا وشديدة النحافة. كانت السيدة ترتدى قُبَّعة غريبة الشكل تُشبه تلك التى ترتديها الساحرات، ولكن انتفاخًا صغيرًا مُستديرًا كان يتوسط تاج القُبَّعة ذا التصميم الحاد. غير أن ثوبها لم يكن يُشبه على الإطلاق ثيابهن؛ فقد كان نوعًا من ثياب السهرة العتيقة مُزيَّنًا بشرائط، ومشغولاً بالـ "دانتيلا" البالية بعض الشىء التى لم تفقد، على الرغم من ذلك، جمالها.

ولم يكن هذا كل شيء؛ فلم تكن مُدرِّستنا الجديدة ترتدى حــذاءً صغيرًا ذا كعبٍ عالٍ مثل باقى المُدرِّسات، وإنما كانت تنتعلُ حــذاءً ضخمًا ذا رقبةٍ طويلة مصنوعًا من الجلد وله نعلٌ ســميك .. حــذاءٌ يصلح للسير فى الغابات وتَسلُّق الجبال، والذهاب إلى نهاية العالم ... وليس حذاءً للذهاب إلى المدرسة على أى حال.

كانت أعيننا تُشبه الكواكب فى استدارتِها من فــرط دهــشتنا، وفغرَ الكثير منًا فاه. وكالعادة، كان "ماريو" أول مَن تحدَّث:

- هذه ليست مُدرِّسة، وإنما خيال مآتة!

وارتفعت بعض الضحكات، ثمَّ ساد الصمت. كانت كل الأعين تُحدِّق فى مُدرِّستنا الجديدة التى توجَّهت بهدوء إلى النافذة المُطلة على الغابة الصغيرة التى اعتادَ أن يختلى فيها "ماتيو" و"چوزيه"[١]؛ ليُقبِّــل كل منهما الآخر فى الخفاء[٢]. ونظرت المُدرِّسة الجديدة من النافــذة وابتسمت ... كانت ابتسامتها جميلة. .

تُقَدِّم المُدرِّسات الجديدات، عادةً، أنفسهن؛ فيقلن: "صباح الخير يا أطفال، أنا اسمى مدام "لاجاليبوت" ... أو: "مرحبًــا، أنــا اســمى "ناتالى". ويكون صوتهن إمَّا رقيقًا وإما صارخًا، وأسلوبهن إمَّا حازمًا

---

(١) اسم فتاة. (المترجمة)
(٢) أجيزت مثل هذه العبارات فى إطار احترام فكر وثقافة وحــضارة الآخــر. (المترجمة)

وإما ناعمًا؛ وهكذا نستطيع أن نُخمِّن قليلاً ما ستكون عليه شخصيتهن. ولكن مُدرِّستنا الجديدة لم تقل شيئًا.

واتجهت المُدرِّسة إلى مكتبها، وهنا لاحظتُ أنها لا تحمل حتى حقيبة بها كتب وغيرها من أغراض. لقد جاءت هذه المُدرِّسة - غريبة الأطوار - إلى المدرسة صفر اليدين! في حين إذا نسى أحدٌ منًا حقيبته المدرسية، كان عليه أن يتوجَّه إلى المدير، السيد "كراكبوت"، ويشرح له السبب. "إنه أمرٌ مُعقد ... فعندما تنسى شيئًا ينتهى الأمر عند هذا الحد ... ولا يوجد له تفسيرٌ آخر ... إنه أمرٌ يتعذَّر، حقًا، شرحه"(١).

وأخيرًا جلست مُدرِّستنا التى تُشبه فى الشكل عود "الكرفس" الطويل. وحبس الجميع أنفاسه؛ فقد كنًا بصدد اكتشاف إن كانت مُدرِّستنا الجديدة مولعةً بالحساب أم بالإملاء، وإن كانت من المُدرِّسات اللاتى يثُرن لأتفه الأسباب.

هناك مُدرِّسات يفقدن بالكامل عقولهن عندما تتناثر الكلمات فى صفحات كراساتنا بدلاً من أن تُكتب على سطورها. وهناك أخريات يفقدن أعصابهن عند سماع أقل صوت ... إنهن من النوع الذى يستيقظ من نومه، فى أثناء الليل، على صوت ريح الفئران.

(١) تتحدث بطلة القصة الصغيرة إلى نفسها. (المترجمة)

أمّا أنا؛ فقد كنتُ أتوق إلى معرفة إن كانت المُدرِّسة الجديدة تُحب- قليلاً أم كثيرًا أم هى مولعة- فرض العقوبات؛ إذ يُمكن القول بأن مُدرِّستنا السابقة، مدام "چيرمان"، كانت تُدللنى كثيرًا.

وجلست مُدرِّستنا الجديدة خلف مكتبها، ولكنها لم تكن تبدو مُتعجلة. فقد فردت فى هدوءٍ ثنية ثوبها ... ثمّ رفعت برقةٍ مُتناهية، دون حتى أن تنظر إلينا، الحافة العريضة لقُبّعتها الهائلة ووضعتها على المكتب(١).

كان شعرها الرمادى مُصففًا إلى الخلف ومرفوعًا على هيئة "شينيون" ... كانت تسريحتها تُشبه تلك الخاصة بالكثير من السيدات العجائز، ولكن كان هناك شيء غريب على رأسها فى حجم ثمرة الـ "كليمونتين"، أو كرة "الجولف"، أو الكرة المطاطية المضغوطة مُتوسطة الحجم. ووقف الكثير من التلاميذ؛ ليروا هذا الشيء بصورةٍ أفضل. أمّا "فيليب"؛ فقد وقف كليّةً فوق مكتبه.

إنها "زلطة" ... "صخرة"! وتناولتها المُدرِّسة الجديدة برقةٍ فى راحتِها كما لو كانت شيئًا نادرًا أو بالغ الرقة. ثمّ، صدّق أو لا تُصدّق، ابتسمت لها ابتسامة عريضة وهى تربت عليها فى حنوٍ، بطرف سبابتِها كما لو كانت أمًّا تُدلل طفلتها الصغيرة.

---

(١) أسلوب الكاتبة الكيبكية فى التعبير عن خلع المُدرِّسة لقبعتها. (المترجمة)

فى تلك اللحظة، بدأت أخيرًا فى الكلام ... ولكنها لـم تكـن تُكلِّمنا ... وإنما كانت تُكلِّم "زلطتها"!

- أهلاً يا عزيزتى. آه! يا جميلتى الصغيرة المسكينة! هـل أيقظتكِ من نومك؟ أنا آسفة؛ فقد كنتُ أشعر بالوحدة ... لقد جئنا إلى الفصل الجديد. هل هم ظرفاء؟ لست أدرى بعد. إنهم ينظـرون إلـىَّ كما لو كنتُ قد نسيـتُ ارتداء ثيابى، أو كما لو كنـتُ قد جئتُ بـ "البچامة" أو بملابسى الداخلية. يجب أن ألقى عليهم التحية. ولكنى أرغبُ، قبل كل شيء، فى أن أتحدثُ إليكِ قليلاً. لا تقلقـى ... لقـد بدأتُ أشعر بالتحسُّن.

ووضعت المُدرِّسة "زلطتها" على أحد أركان مكتبهـا، وعلـى مدى بضع ثوانٍ، ساورنى الإحساس بأنها كائنٌ حى لن يلبث أن ينبح ويزأر أو أن يموء. وصاحَ "ماريو"، من آخر الفصل، برقتهِ المعهودة قائلاً:

- إن مُدرِّستنا الجديدة مجنونة!

ونَظَرتُ إلى "چوسلين" مُستفسرة. فطرقـت رأسـها بطـرف سبَّابتها عدة مرات كما لو كانت منقار طائر "نقَّار الخـشب". وكنـتُ أعلم جيدًا ما تعنيه هذه الحركة. وكنتُ شبه مُتفقة معها فى الرأى؛ فقد كانت مُدرِّستنا الجديدة مجنونة جـدًا ... فاقـدة العقـل ... غريبـة الأطوار ... تهذى ... غير مُتزنة عن حق.

وعلَت الضوضاء فى الفصل ... كان الجميع يسأل ما الـــذى يجب عمله فى مثل تلك الحالة؟ هل يجب إخطار الآنسة "لاميرلـــوت" فى الفصل المُجاور ... أم مـــدير المدرســـة ... أم الـــشرطة ... أم الأطباء ... أم رجال المطافئ؟

وفجأة، قامت مُدرِّستنا الجديدة من مكانها، ودارت فى هـــدوءٍ حول مكتبها، وعندما أصبحت أمامه، جلست ... فوقه.

حتى وهى جالسة، كانـــت المُدرِّســـة الجديـــدة طويلـــة القامـــة. وتنحنحت وابتسمت لنا. حينئذ، سكت الفصل ... لم يعد أحدٌ يهمـــس ... كنَّا كالمُنومين مغناطيسيًا.

- صباح الخير... .

كان صوتها رخيمًا ومُبتهجًا يشوبه شىءٌ من الحياء. وسألتنا:

- هل تُريدون ... هـــه ... القيـــام بعمـــل بعـــض المـــسائل الحسابية؟

ولم يردّ أحد؛ فقد كنَّا جميعًا فى شبه حالة صـــدمة. فتوجَّهـــت بالحديث إلى "جيوم" قائلة:

- أنت، يا أستاذ، هل تُريد أن نبدأ اليوم بعمل بعض عمليـــات القسمة أم قليل من الهندسة؟

كان "جيوم" يخشى كل ما يتعلق بالأرقام أو ما يُشبهها. وكــان واقعًا تحت تأثير مُدرّستنا الجديدة، ولكنه استطاع مع ذلــك أن يــرد قائلاً:

- لا ... لا، يا سيدتي ... هه ... لا، يا آنسة. هه ... علــى الإطلاق.

والأعجب أن مُدرّستنا الجديدة كانت تبدو سعيدة بهذا الرد.

- هل تُريد أن نقوم بعمل إملاء إذن؟

ولم يتردد "ماريو"، في هذه المرة، وأجاب:

- لا. هنا، الجميع يكره الإملاء؛ إنها تُصيبنا بالتوتر الشديد... .

كان رد "ماريو" يبدو كالتهديد. ولم يكن يتحرَّج من القيام بدور المُهرّج في المدرسة. فابتسمت له المُدرّسة الجديدة في رضــا، ولاحَ في عينيها بريق السعادة، وقالت:

- حقًا؟ ياه! حسنًا! أنا أيضًا أكره الإملاء.

هذا بالضبط ما قالته مُدرّستنا الجديدة، وكانت تبدو في منتهــى الصدق. في تلك اللحظة، ظننتُ أن هــذه الــسيدة العجــوز غريبــة الأطوار، ربما أتت من كوكب آخر، وأنها، فــي الحقيقــة، قــصيرة القامة، ولونها أخضر، ولها ثلاث عيون تصطف على جبهتها. أمــا

"زلطتها" فهى جهاز إرسال واستقبال يصلها بمركبة فضاء عجيبة تتأرجح فى الفضاء على بُعد مليارات السنوات الضوئية التى تفصلها عن حجرة فصلنا.

والأسوأ من ذلك أننى، فى قرارة نفسى، كنتُ أعتقد أننى ربما على شىءٍ من الصواب.

الفصل الثانى

عزيزتى ... فرشاة الأسنان



بومة الثلج

أحد أشهر الطيور بمُقاطعة "كيبيك" الكنديـــة وترمـــز للـــشتاء والطيران.

و"كيبيك" هى إحدى مُقاطعات كندا العشر وأكبرها مساحة، وعاصمتها مدينة "كيبيك" وأكبر مُدنها مدينة "مونتريال".

(المترجمة)

بعد مرور أسبوع، كنّا لا نزال لا نعرف سوى أقل القليل عن مُدرّستنا الجديدة. كان اسمها "شارلوت"، وجاءت من قريةٍ بعيدة تقع شمال مُقاطعة "كيبيك" الكندية، أو على الأقل هذا ما كانت تقوله. وكان "ماريو" يُقسم أنها تقول أى كلام ... وأنها فى الحقيقة جاسوسة... والكلمات الرقيقة التى كانت تقولها لـ "زلطتها" ما هى إلا شفرة سرّية ... وأن خلف تنكُّرها، فى ثياب المرأة العجوز غريبة الأطوار، تختبئ سيدة مُخيفة قطعت رقاب الكثيرين وصمدت أمام أسوأ عمليات التعذيب.

كانت الآنسة "شارلوت" تتحدث إلى "زلطتها" كثيرًا وبصوتٍ عالٍ دائمًا. كانت تدعوها بـ "طفلتى الكبيرة"، و"صغيرتى چيرترود"، أو "حبيبتى الجميلة". وكنتُ أجد صعوبة فى تخيّل جواسيس يفكُّون شفرة هذه الرسائل. وعلى أى حالٍ، وعلى الرغم من أن هذا قد يبدو عجيبًا، فقد اعتدنا تقريبًا بعد بضعة أيامٍ على "زلطتِها".

لم تكن حصص الآنسة "شارلوت" تُشبه ما اعتدنا القيام به فى المدرسة. أنا أعلمُ ذلك من مُنطلق خبرتى فى هذا المجال؛ فقد تنقَّلتُ بين العديد من المدارس بسبب تنقُّلات والدى الكثيرة.

كانت الآنسة "شارلوت" تسأل عن مشاريعنا كل صباح. وفى المرة الأولى، لم يُجبها أحد؛ فقد كنّا تحت وقع شدة المُفاجأة. فجالت

الآنسة "شارلوت" بعينيها الكبيرتين المُندهشتين فى الفصل، وهمهمت ببساطةٍ فى أسفٍ شديد قائلة:

- حسنًا ... اتفقنا. بما أنكم تُريدون ذلك ... ستُعانى، هذا الصباح، من الملل.

كانت الآنسة "شارلوت" موجودةً هنا، أمامنا، جالسة على مكتبها تتنهد بصورةٍ تُمزّق القلوب الحجرية. وبعد مرور دقائق طويلة جدًا، رفعت "مارلين" يدها وسألت إن كان بإمكاننا أن نتكلّم. كانت هذه فكرةً رائعة؛ فمنذ جرس الصباح وأنا أعدُّ الدقائقَ الباقية على الفسحة، لأننى كنتُ أتوق أن أُخبر "جوسلين" بأن قطتى "بوتين" وضعت صغارها فى أثناء الليل.

ووافقت الآنسة "شارلوت"؛ فأخذنا فى الثرثرة حتى جاء موعد الفسحة. وبعدها، اقترحَ "جون - شارل" أن نلعب مباراة كرة قدم. كان الجو رائعا، وحتى لو لم أكن مولعة بلعب الكرة، كنتُ سأسعد بموافقة الآنسة "شارلوت"؛ ففكرة الجرى فى فناء المدرسة، فى الوقت الذى اعتادت فيه مدام "جيرمان" على أن تُكلّفنا فيه بتصريف الأفعال، كانت تجعل من ممارسة أى رياضةٍ أمرًا مُثيرًا.

وكونّا فريقين، ولكن فريقنا كان ينقصه لاعب. فلم تنطق الآنسة "شارلوت" بكلمةٍ، ورفعت ثنايا جونلتها وربطتها حول خصرها بالحزام؛ كى لا تتدلى وتعوقها فى اللعب، واستعدّت.

لعبت الآنسة "شارلوت"، فى البداية، بشكل سيئ للغاية، وكأنها لم تر كرة فى حياتها. حتى المرمى، لم تكن تعرف عنه شيئًا! ولكن بعد مضى نصف الوقت، نجحت فى تمرير كرة جميلة، واستطاع "ماريو" إحراز هدف. أهى ضربة حظ؟ أبدًا! فبعد ذلك مباشرة، صوبت المُدرسة الجديدة الكرة فى قلب الشبكة. وبعد إحرازها ثلاثة أهداف؛ أدركنا جميعًا أن مُعلمتنا الهُمام "شارلوت" تمتاز بضربات قدمٍ رائعة.

وعندما بلغت النتيجة ٥-٤، احتدمت المُنافسة بين الجانبين. كنتُ غارقة فى عرقى ... وكذلك الآخرون ... بينما انهارت تسريحة الآنسة "شارلوت" ... واتسخت ثيابها بصورةٍ عجيبة. وحال انهماكنا فى اللعب دون أن نُلاحظ السيد "كراكبوت". فكادت "ميلانى" تختنق وهى تندفع مُباشرةً لتستقر فى "كرشه" الكبير المطاطى. وسمعت صرخة ... وتوقفَ الجميع عن اللعب.

كان السيد "كراكبوت" غاضبًا ... وأخذ يبحث بعينيه عن مُدرستنا الجديدة. وعندما وقعَ بصره عليها، اتسعت حدقتاه وهو يرى شعرها المنكوش وطرف ثوبها المُتسخ الذى كان يتدلّى بصورةٍ غريبة. فسألته الآنسة "شارلوت"، وهى تشع بهجة، قائلة:

- صباح الخير، يا سيد "كراكبوت".. هل تُريد أن تنضم إلينا؟

فاستجمع السيد "كراكبوت" قواه ... ونجحَ فى أن يُجبر نفسه على الابتسام. يبدو أنه لم يكن يعرف كيف يتصرّف.

وألَحّ "ماريو" قائلاً:

- آه نعم! تعال، يا سيد ... "كراكبوت"!

كانت هذه هى أفضل طريقة لإنقاذ الآنسة "شارلوت"؛ التظاهر بأن الأمر طبيعى للغاية، ودعوة السيد "كراكبوت" للانضمام إلينا فى اللعب.

ونجحت الخطة؛ فقد تمتمَ السيد "كراكبوت" بكلماتٍ غير مفهومة، ثمَّ مضى. أظنُ أنه كان يُفضّل تنظيف كل دورات مياه المدرسة بفرشاة أسنانٍ على لعب مباراة معنا.

وفى اليوم التالى، اقترحت علينا الآنسة "شارلوت" جدول حصصٍ جديدًا تُخصَصُ فيه ساعات الصباح الأولى للأمور الضرورية مثل: دراسة الفرنسية والإنجليزية والحساب. وكانت مُدرِّستنا الجديدة تُجيد الشرحِ ... وكف "ماريو" عن القيام بدور المُهرِّج؛ فقد كنَّا جميعًا نتطلَّعُ إلى إنهاء دروسنا سريعًا حتى نتفرَّغ للعب.

وكانت الآنسة "شارلوت" قد حَسَبَت أننا إذا استذكرنا جيدًا، وقمنا بعمل واجبات قليلة كل مساء؛ فإننا نستطيع أن نستوعب المواد الأساسية فى ساعتين، وتتبقَّى لنا ثلاث ساعات وثمانى وخمسون دقيقة بالضبط للعب. وبعد بضعة أيام، كان لكلٍ منَّا رؤيته فى كيفية تمضية هذا الوقت الطويل المُخصص للعب.

فقام "جيوم" بتقديم عرض سحرى. وخافت الآنسة "شارلوت" عندما اقترحَ عليها أن يقوم بنشرها إلى قطعتين ليعيدهما إلى بعضهما بعض بعد ذلك ... ولكنه كان يمزح.

و"چولى" التى تتسم بشىءٍ من العجرفة، وتحلم بأن تُصبح مُقدِّمة برامج فى التليفزيون؛ جعلتنا نتذوَّق، ونحن معصوبو العينين، خمسة أنواعٍ من البسكويت المُطعَّم بقطع الشيكولاتة الصغيرة كما فى الإعلانات. ولكن "مارتن" سرقَ منها الأضواء بإحضارهِ حلوى "المارينجوين" التى أقبلَ عليها الجميع ولم يكن لديه منها سوى سبع قطعٍ فقط. ووجدت "ميلانى" أنها تُشبه فى الطعم زبدة الفول السودانى الطرية ... بينما وجدَ "إيريك" أن طعمها يُشبه "البيتزا بالطماطم" ... وقالت "چوسلين" : إنها تلتصق بالحلق وتُدغدغه عند البلع.

واخترعت "مانون" عصيرًا "سوبر". كان كلّ منًا يختار عمل شىء يُحبه ويُجيده؛ ليُقدِّمه للفصل. أمس، على سبيل المثال، أكلَ "إيريك" إحدى عشرة قطعة بسكويت بالصودا فى أربع وخمسين ثانية دون أن يشرب قطرة ماء. وفى اليوم السابق، حبست "چنيڤيڤ" أنفاسها لمدة مئة وتسع ثوانٍ ... ولفَّ "سيمون" ساقه حول رقبته – يا له من بهلوان حقيقى! وفرقعت "مارى" فقَّاعة لُبان بحجم ثمرة "الجريب فروت" التصقت برموشها.

وكنّا نتوقُ إلى معرفة ما تُجيد الآنسة "شارلوت" عمله ... مما لا شك فيه أن لديها مواهب غير عادية أو قُدرات خفية ... ولكن أحدا لم يجرؤ على سؤالها. غير أنني لم أستطع كبح جماح فضولي أكثر من ذلك، فتجرَّأتُ يوم الخميس وسألتها. وساد الصمتُ الفصل. ثمَّ بدأت الآنسة "شارلوت" ببساطةٍ في الكلام.

كان الأمر أروع مما تصورناه. لم أكن لأصدق أبدا أن وقع كلماتٍ بسيطة يُمكن أن يكون بهذه القوة.

حكت لنا الآنسة "شارلوت"، في البداية، قصة مرعبة ... اختفت حجرة الفصل، في دقائق، لنجد أنفسنا داخل كهفٍ مُظلم ومُخيف ... كانت ليلةٌ عاصفة وباردة ... وكانت أفرع الأشجار المغطاة بالصقيع تصطك ببعضها بعض كعظام الهيكل العظمي ... وكانت رائحةٌ كريهة تفوح من أرجاء المكان ... وكانت الأشباح ترصدنا. وفجأة ... قفز مخلوقٌ مرعب وهبط على بُعد بضعة أمتارٍ منّا ... كان الذئب المُفترس يلتهمنا بعينيه الجائعتين ... وكانت أنيابه الفظيعة تلمع في ظلام الليل الدامس.

وما أن انتهت القصة الأولى، وبينما كانت رعشة الرعب لا تزال تسري في أوصالنا، حتى بعثت بنا الآنسة "شارلوت" إلى الشرق في صحراءٍ مُشمسة ... كانت ساقاي تتدليان على جانبي جملٍ يندفع

فى الصحراء الشاسعة ... كان يطرقَ الرمال بخُفّيه؛ فتتطاير حفنات التراب لتختفى سريعًا فى طيّات الرياح العاتية. واستمر إحساسى بحبات الرمال بين أصابعى حتى بعد مُضى وقت طويل من انتهاء سرد الآنسة "شارلوت" القصة.

واعتبارًا من بعد ظهر ذلك اليوم، كانت الآنسة "شارلوت" ترحلُ بنا يوميًا فى قصصِها، التى نجهلُ مصدرها، إلى عوالم من الضحك... والصراخ ... والبكاء. وعندما صحبتنا ذات يومٍ إلى أعالى البحار؛ حتى نُحسن الاستماع إلى غناء الحيتان، قلتُ لنفسى إننى أُريدُ، أنا أيضًا، أن أرسم بالكلمات فقط أمواجًا فى خيال الناس. وفى صباح اليوم الذى هاجمَ فيه القراصنة مركبنا، صارحنى "ماريو" بأنه شعرَ بنصل الخنجر البارد على خده.

وفى صباح يوم الأربعاء من الأسبوع الأول لمجىء الآنسة "شارلوت"، جاءت "چوديت" إلى المدرسة مُتأخرةً. وكانت الآنسة "شارلوت" تتحدثُ إلى "زلطتها" بينما كنّا نقوم بإنهاء تدريب الحساب. وجلست "چوديت" على مكتبها دون أن تُلقى التحية على أحد. وبعد بضع دقائق، انفجرت فى البكاء.

هناك العديد من الطرق للبكاء. ولكن بكاء "چوديت" كان يدل على أنها حزينة للغاية. وحاولت "ماريكو"، أعز صديقةٍ لها، أن

تُواسيها وتعرف سبب بكائها. ولكن "چوديت" رفضت الكلام. وكنّا نظن جميعًا أن الآنسة "شارلوت" سوف تتدخل؛ فقد كانت مُدرّستنا القديمة، مدام "چيرمان"، لتصحب "چوديت" بلطف على جانب؛ لتعرف منها ما حدث. ولكن الآنسة "شارلوت" وضعت، فى هدوء، "زلطتها" فى قُبّعتها قبل أن تجلس فوق مكتبها؛ حتى تجتذب انتباهنا.

فى هذه المرة، لم تُؤلف مدرستنا الجديدة قصة، وإنما حكت لنا جزءًا من قصة حياتها ... كان يا ما كان فى قديم الزمان- وقديم الزمان هنا قد يتراوح ما بين خمس وخمسين سنة، بما أن الآنسة "شارلوت" امرأةٌ عجوز- عاشت الآنسة "شارلوت" مأساة كبيرة ... أمرٌ جد فظيع ... فظيعٌ إلى الحد الذى لم تستطع معه أن تأكل، أو تلعب، أو تنام ... وأعتقد أن الآنسة "شارلوت" لم تكن ترغب حتى فى أن تعيش.

واسوأ ما فى الأمر أنها كانت وحيدة ... دون أهل، أو جيران، أو حتى أصدقاء ... لم يكن لديها أحدٌ تتحدّث معه أو يُعزيها. فالتقطت، فى أحد الأيام، "زلطة"، وأطلقت عليها اسم "چيرترود"، وتحدثت إليها.

وتقول الآنسة "شارلوت" : إن بإمكاننا تخيّل أى شىء، وإن فى أذهاننا ملايين البلدان، الشخصيات، الكواكب، وما علينا سوى استحضارها. ويجب ألا نعبأ بما يُمكن أن يقوله الناس.

- لكل واحد الحق فى الحديث إلى "ممحاته" أو سيور حذائـــه. هذا لا يُعوِّض، بالطبع، الأصدقاء الحقيقيين. ولكن من المُمتع، أحيانًا، أن نتخيّل شخصيات نبوح لها بأسرارنا.

كانت الآنسة "شارلوت" مُقنعة للغاية ... وكانت نظرتها تلمـــع وتتألق ... وكنّا جميعًا شبه مُنومين مغناطيسيًا. لست أدرى إن كانت مُدرِّستنا الجديدة تعرف مدى تأثيرها، ولكن فى اليوم التـــالى، كـــان "شارل- أنطوان" يتحدث، فى الردهة، إلى فرشاة أسنانه، بينما كانت "ميلانى" تتحدث إلى "شوكة" طعام.

وفى وقت الغداء، أمسكَ السيد "كراكبوت" بـــ "جيـــوم" وهـــو منهمك فى الحديث إلى "مقلمته"، وسأله:

- إلى مَن تتحدث؟

فأجاب "جيوم" فى هدوء:

- إلى جدى.

فى تلك اللحظة، أدركتُ أن مجىء الآنسة "شارلوت" سيُغير، عن حق، حياتنا.

الفصل الثالث

يا "فول الصويا"



"فول الصويا"

نوعٌ من النباتات ينتمى إلى عائلة البقــول، ذو قيمـــة غذائيـــة عالية ويدخل فى صناعة الدواء.

(المترجمة)

أصبح فصل الآنسة "شارلوت" محل اشتباه إدارة المدرسة. ففى أى لحظةٍ، كان يُمكننا رؤية أنف السيد "كراكبوت" مُلتَصقًا بزجاج باب الفصل.

كان مدير المدرسة يُراقبنا، عندما قدَّمَ نابغة الفصل "شارل - أنطوان"، بحثًا استغرق ساعة عن النمل. لم يكن أحدٌ منّا يعرف أن "شارل- أنطوان" يُربّى فى منزله مُستعمرات من النمل. فقد أحضرَ حوض سمك زينة ملىء بالرمال، وشرحَ لنا أسلوب تخاطب النمل مع بعضه بعض عن طريق تلامُس قرون استشعاره، وكيف أنه يحفر أعشاشه وأنفاقه تحت الأرض. وأوضحَ لنا أن النمل يبنى حتّى حجرات لها أبواب من أجل يرقاته. يا له من أمرٍ مُدهش!

ولا يتحدث "شارل - أنطوان"، فى العادة، كثيرًا ... وفى الفسحة، يجلس معظم الوقت وحيدًا فى ركنه المُخصص للقراءة. ويقول "ماريو" : إن "شارل - أنطوان" يظن نفسه أفضل من الجميع؛ لذلك فهو لا يختلط بهم. ولكننىّ أعتقدُ أن "شارل - أنطوان" مُختلف الطباع فحسب. ويُصبح "شارل - أنطوان" مُبهرًا، كما لو كان يتألّق من الداخل، عندما يتحدَّث عن ملكات النمل ذوات الأجنحة الجميلة التى تضحى بها فى شجاعةٍ، فتتمزّق عندما تحشر نفسها فى فتحة ضيقة؛ لتضع بيضها.

لقد اطمأن السيد "كراكبوت" بالتأكيد على سير الدراسة في الفصل يوم البحث الذى أعدّه "شارل - أنطوان" عن النمل؛ فقد كتب زميلنا العزيز على السبورة كمًّا كبيرًا من المعلومات، وتحدّث كثيرًا، مثل مُعلّمٍ حقيقي. وكان التلاميذ يستمعون إليه في انتباه وهدوء وصمت.

ولكن القلق انتابَ بشدةٍ مديرنا في يوم المكرونة "الإسباجيتي". فقد كلّفتنا الآنسة "شارلوت" بحل المسألة التالية: كم عدد عيدان المكرونة "الإسباجيتي" اللازمة لمعرفة مساحة الفصل بوضع عود مُقابل الآخر؟ ولم تكن تُرِيد منّا بهذه المسألة أن نعرف مقاييس الفصل وأن نقسمها على طول عود المكرونة. لا ... لا، لقد كانت تُرِيد ببساطة أن نُخمّن الأمر ... وأن نتصوّره.

وقمتُ بحل المسألة بسرعة؛ فقد قلتُ لنفسي إن طول عود المكرونة "الإسباجيتي" يبلغ نحو ٣٠ سنتيمترًا. إنه في طول المسطرة، هذا أمرٌ سهل! أمّا بالنسبة للحوائط؛ فقد كانت المسألة مُعقّدة. وحاولتُ أن أتخيّل مترًا في ذهني وأن أحسب كم يلزمني من أمتارٍ أضعها بطول الحائط الواحد لمعرفة ارتفاعه، ٢٣ مترًا ... تقريبًا. وبضرب عدد الأمتار هذا في الحوائط الأربعة تكون النتيجة ٩٢ مترًا. وبقسمة ارتفاع الحوائط على عدد عيدان المكرونة، بعد تحويل الأمتار إلى سنتيمترات، توصّلتُ أخيرًا إلى أن الأمر يتطلّب ٣٠٧ أعواد مكرونة "إسباجيتي" لمعرفة مساحة الفصل.

وسَجّلت الآنسة "شارلوت" إجابة كل تلميذ، ثمَّ نسينا جميعًا تدريب "الإسباجيتى". وبعد بضعة أيام، جاءت مُدرّستنا إلى المدرسة وهى تجرعربة يد ذات عَجَلات ثلاث لونها أصفر وأحمر. تصوَّروا وجه التلاميذ والمُدرّسين فى فناء المدرسة وهم يرونها تتجه بهذا الشكل إلى المدخل. وكانت ملابسها وحدها تُثير دهشة الجميع؛ فقد كانت لا تزال ترتدى ثوبها العتيق وقُبّعتها العجيبة. وها هى الآن تُضيف إليهما عربة يد غريبة المنظر.

كان بالعربة العجيبة كيسان كبيران لونهما أخضر مُنتفخان للغاية. ولم نكتشف محتواهما إلا عندما دخلنا الفصل وأغلقنا الباب جيدًا. لقد كانا مملوءين بـ... المكرونة ... آلافٌ من عيدان المكرونة.

وعلَت شفتى الآنسة "شارلوت" ابتسامة غامضة وهى تقول لنا:

– سوف نُعيد تدريب "الإسباجيتى" إلى أن نصل إلى الحل الصحيح.

فشمّرنا عن سواعدنا؛ كى نقيس من جديد مساحة الفصل بعيدان المكرونة. وفى تلك الأثناء، كتبت الآنسة "شارلوت" على السبورة اسم كل تلميذ وإجابته التى أجابها، منذ بضعة أيام، عن مسألة "الإسباجيتى".

كان يجب أن نعد ... ونُكررُ، عدة مرَّاتٍ، العــد ... إلـــى أن نصل إلى النتيجة الصحيحة. وأخيرًا، وبعد ثالث عدٍّ، أعلنَ "جيــوم": ٣٧٠ عود "إسباجيتى"! وصاحَ "إيريك" متهللاً: هيييه! وأكَّــدَ "فريــد" الإجابة. وكانت هذه هى الإجابة الصحيحة.

وهنا لاحظتُ "أرنبة" أنف السيد "كراكبوت" السمينة مُلتــصقةً بزجاج باب فصلنا.

التقت نظرة الآنسة "شارلوت" مع نظرتـــى قبــل أن تُوجهها بسرعة نحو الباب لتعود وتنظر إلىَّ من جديــد. ولاحــت ابتــسامةٌ غامضة على شفتيها. يبدو أن مُدرِّستنا الجديدة لم تكن تعبأ كليَّةً بمــا قد يظنه مدير المدرسة. وظَنَنتُ، لبضع ثوانٍ، أن السيد "كراكبــوت" سيغضب حقًا، وأنه سيدفع الباب ويــستغنى عــن خــدمات الآنــسة "شارلوت"؛ فقد كان غضبه ظاهرًا. ولكنه لم يفعل شيئًا، وبعد بــضع ثوانٍ، اختفى.

وبدأت الأمور تسوء بعد ثلاثة أسابيع بالــضبط مــن مجــىء مُدرِّستنا الجديدة. كان ظُهر يوم اثنين، عندما وصفَ "ماتيو" زميلنــا "ثو" بأنه يُشبه أكلة "أصابع البيض الــصينية" نــسبةً إلــى أصــولهِ الآسيوية. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يصف فيها "مــاتيو"- "ثو" بوصفٍ كهذا؛ كى يغيظه. فقد كانت مُشاحنتهما تبدأ عادةً بأكلــةٍ واحدة، وبعد دقائق، تجر الأكلة قائمة الطعام بأكملها؛ فيــصف كــلٌ

منهما الآخر بأنه: فول صويا! وحساء الـ "وان تون" الصينى الشهير! و"الكستليتة" ... .

لم يكن "ماتيو" قد استوعب بعد أن "ڤو" من أصل ڤيتنامى وليس صينيى! أمَّا "ڤو"، فربما لم يكن قد تذوّق فول الصويا أبدًا، ولكنه مع ذلك كان يغتاظ. وفى كل مرةٍ كان "ماتيو" يصفه فيها بأكلة صينية، لم يكن يرد عليه بالمثل؛ كأن يصفه بأنه "تورتة شيكولاتة" أو مكرونة "إسباجيتى" أو دجاجة مشوية، وإنما كان يُوجِّه له لكمة. وكان هذان الاثنان فى حربٍ دائمة؛ لأن "ماتيو" كان يُحب زميلتنا "چوزيه" التى كانت تميل لـ "ڤو" وتُبدى إعجابها به.

وبعد تبادل السباب وتوجيه أول لكمة، كانت حالةٌ من الترقُّب تسود الأجواء. وكنَّا نتوقَّفُ عن اللعب؛ لنرى مَن من الاثنين سيتمكَّن من هزيمة الآخر.

ولكن فى ذلك اليوم، دفعَ "ڤو" الثمن غاليًا. وعندما ضرب الجرس، كان أنفه ينزف وخده اليمنى يدمى؛ فقد ضربه "ماتيو" بقسوة. كان "ڤو" يُجفف أنفه الدامى بقطعة "ورق تواليت"، و"ماتيو" يُحاول مُعالجة الكدمة التى أصابت عينه، عندما دخلت الآنسة "شارلوت" الفصل وهى تتحدث إلى "زلطتها". كانت تقول لها:

- هل صحيح أن الجو جميل بالخـــارج، هـــه، يـــا جميلتـــى "چيرترود"؟ أشعرُ برائحة الربيع تملأ أنفى! سنتنزه مرة أخرى هـــذا المساء إذا ... .

ولم تُكمل مُدرِّستنا الجديدة كلامها؛ لأن نظرها وقع على "ڤو". فاتسعت عيناها وشحب وجهها. ووضعت يـــدًا علـــى فمهـــا؛ لتكـــتم صرخةً، ثمَّ أسرعت نحو "ڤو" كما لو كان قد سقط لتوه مـــن الـــدور الثانى والعشرين. وسألت:

- ما الذى حدث؟ كيف حالك؟ هل هناك مُصابون آخرون؟

بصراحة، كنتُ أريد الضحك؛ فقد كان الأمر مُضحكًا للغايـــة. كانت مُدرِّستنا الجديدة حقًا عجيبة جدًا. لقد تشاجر "مـــاتيو" و"ڤـــو"، ولكنها ليست نهاية العالم؛ غير أن رد فعل الآنسة "شـــارلوت" كـــان يوحى بأن الحرب العالمية الثالثة قد اندلعت لتوها؛ فقد كانـــت تبـــدو على وشك إعلان حالة الطوارئ واســـتدعاء الأطبـــاء، وســـيارات الإسعاف، والشرطة، ورجال المطافى ... .

وقال "ڤو" وهو يحدج "ماتيو" بنظرةٍ سوداء: لقد ضربنى هـــذا المعتوه الكبير.

فالتفتت الآنسة "شارلوت" إلى المُتَّهم وكانـــت عينـــه اليُمنـــى مُتورمةً وتُحيط بها كدمةٌ زرقاء اللون.

وسمعنا جميعًا صوت ارتطام "چيرترود" بالأرض. لقد فوجئت مُدرِّستنا الجديدة بالموقف، وحزنت له، وانزعجت منه إلى الحد الذى أدى إلى إفلات "زلطتها" الغالية من يدها ووقوعها على الأرض.

وهرعَ "شارل – أنطوان"، والتقط "چيرترود" من على الأرض، وأعادها فى شىء من الحَرَج إلى الآنسة "شارلوت". فأخذت مُدرِّستنا الجديدة "زلطتها" ووضعتها فى جيب ثوبها الفضفاض. وجلست فوق مكتبها، وأطالت النظر إلى كلٍ منّا فى حدَّةٍ غريبة.

ومرّت الدقائق بطيئة وسط الصمت الذى ساد الفصل. كان يبدو أن الآنسة "شارلوت" تُفكِّر بعمق. وفجأة، سألت:

- هل يحدث مثل هذا الشجار كثيرًا؟

"كثيرًا" ... ما الذى تعنيه بكلمة "كثيرًا"؟ أتعنى كل يوم؟ كل أسبوع؟ كل فسحة؟ همم، بإمكانى أن أقول مرتين أو ثلاثًا أسبوعيًا. وليس أكثر من ذلك، على ما أعتقد.

هذا بالضبط ما أجابته "تاتالى". ولكن رد فعل الآنسة "شارلوت" جعلنا نُدرك جميعًا أنها تعتبر هذا كثيرًا جدًا.

وساد الفصل صمتٌ يشوبه الشعور بكارثة؛ فقد كانت الآنسة "شارلوت" تبدو مصدومة جدًا من مُحاولة "ماريو" الاعتذار بقوله:

- أعتقدُ أننى تجاوزتُ حدودى فى الغضب. إننا عادةً لا نُلحقُ الأذى ببعضنا بعض بشدةٍ هكذا ... .

كان يبدو أن المسكين لم يعد يعرف ما يقوله. مما لا شك فيه أنه كان يجب أن يصمت؛ فقد أثارت كلماته القليلة التى أضافها زوبعةً، حيث قال:

- آه! ثمَّ إننا لسنا الوحيدين اللذين يتشاجران؛ فبالأمس، دفع "ماريو" بـ "إيريك" إلى الحائط. وفى الأسبوع الماضى ... .

وهنا قاطعته الآنسة "شارلوت"؛ فقد أدركت أننا نتشاجرُ جميعًا من آنٍ إلى آخر. ويبدو أن مُدرِّستنا الجديدة قد جاءت من بلدٍ عجيب أو من كوكبٍ بعيد لا يعرف الشِجار.

وأكَّدت مُدرِّستنا فى حزمٍ:

- لا أريدُ أن أسمعُ شيئًا عن كل هذا!

ثمَّ وقفت الآنسة "شارلوت"، وفردت فى بطءٍ كسرات جونلتَها، وأصلحت من قُبَّعتها على رأسها، واتجهت إلى الباب فى خُطى محسوبةٍ وهى مفرودة القامة. وقبل أن تختفى، التفتت إلينا ببساطةٍ وقالت لنا:

- قولوا للسيد "كراكبوت" إننى قدَّمتُ استقالتى، وسيصله خطابٌ رسمى بهذا الشأن بالبريد.

وتركتنا.

الفصل الرابع

خطاب وظرابين



أحد "الظرابين" ومُفردها "ظربان"

نوعٌ من الحيوانات الثديية آكلة اللحوم، تمتاز بصغر حجمها وحدَّة مخالبها التى تُمكِّنها من تسلُّق الأشجار وغيرها من أماكن مُرتفعة. وتشتهر هذه الحيوانات بأنها تفرز رائحة كريهة بواسطة غدد موجودة أسفل ذيلها؛ كنوعٍ من الدفاع عن نفسها عند شعورها بالخطر. وتنقسم "الظرابين" إلى١٢ نوعًا تنتشر فى القارة الأمريكية وإندونيسيا والفيليبين. **(المترجمة)**

- كارثة!

لم يكف "ماريو" عن ترديد هذه الكلمة، بينما كان بقية التلاميذ يجترّون حزنهم وخوفهم فى صمت.

وفى ثوانٍ، أدركنا أن الآنسة "شارلوت" كانت تحتل مكانة عملاقة فى حياتنا. ولم تكن فكرة أننا سنبدأ من جديد فى عمل تدريبات الحساب والنحو طوال اليوم مع مُدرّسة جديدة هى التى تؤرقنا فحسب. لا. ولكنها فكرة أننا لن نرى الآنسة "شارلوت" ثانية بابتسامتها الجميلة، وقُبَّعتها المجنونة، و"زلطتها". وأننا لن نرحلُ مُجددًا من خلال قصصها إلى عوالمَ خيالية، ولن نُفكرَ فى مشروعات أخرى مُدهشة ... والأسوأ من هذا كله، أننا فقدنا الآنسة "شارلوت".

وصاحَ "فيليب" فى صوتٍ يشوبه الشك: إنها نزوةٌ! أخى الصغير تنتابه هذه النزوات كثيرًا. إنها سوف تعود.

وكنًّا نعرف جميعًا أنه لا يظن ذلك حقًا. فقد تركتنا الآنسة "شارلوت"؛ لأنها لا تحتمل أن يضرب بعضنا بعضًا ويسبّه. ربما أن أهل المكان الذى جاءت منه لا يفعلون ذلك أبدًا. ولكن مما لا شك فيه أن الآنسة "شارلوت" لم تكن تحتمل العنف على الإطلاق.

وطرقَ أحدٌ باب فصلنا، ولاحت منه رأسٌ؛ فأطلقَ الكثير من التلاميذ صرخة.

إنه السيد "كراكبوت"!

وسأل: أين الآنسة "شارلوت"؟

كانت نبرةَ صوته مليئة بالمعانى الخفية. وسرعان ما أدركنا أن مديرنا لم يكن على درايةٍ بما حدث.

وأخذتُ نفسًا عميقًا، وقلت:

- إنها فى دورة المياه، يا أستاذ. فى دورة مياه السيدات.

وكان صوتى بدورهِ مليئًا بالمعانى الخفية؛ فلم يكن باستطاعة السيد "كراكبوت" أن يذهب إلى هناك ليتأكد من صحة كلامى.

وحتى أُكسِبَ كلامى مزيدًا من المصداقية، أضفت:

- أستطيعُ أن أذهب للبحث عنها هناك، إن أردت ... .

ولكن مُديرنا لم يُلح فى طلبه. وا فرحتاه! ورحل.

يجب أن نتصرَّف بسرعة. يجب أن نجد تفسيرًا لغيابها ... ونضع خطةً حتى تعود الآنسة "شارلوت" لنا.

واتفقنا على أن يبقى خبر رحيل الآنسة "شارلوت" سرًّا بيننا. يجب ألا يعلم به أحد. فكما لا يحق للصغار الفرار من مدرستهم، نحن نؤمن بشدة بأن المُدرِّسات يجب ألا يفعلن ذلك أيضًا.

كانت لدى الجميع أفكار بهذا الشأن، ولكنها كانت خططًا طويلة الأجل ومُعقّدة. وقرّرنا أخيرًا أن نكتب خطابًا للآنسة "شارلوت". كان هذا حلاً في غاية البساطة، خطة صغيرة هزيلة وهشة للغاية، ولكن كلٌ منّا تفانى في وضعها.

كنّا نعرفُ أن الآنسة "شارلوت" تسكن بيتًا قديمًا عند أطراف المدينة، ظلّ لمدةٍ طويلة مهجورًا.. وعندما انتهينا من كتابة الخطاب، أرادَ كل التلاميذ توصيله للآنسة "شارلوت". ولكن لحسن الحظ أن "ماريو" أوضح أنه من غير اللائق إرسال وفد من ثلاثين تلميذًا في مهمةٍ من المُفترض أن تكون سرّية.

فقُمنا بعملية اقتراعٍ فيما بيننا؛ لنختار مَن سينوب عنّا في توصيل الخطاب. ولم يكن الأمر يتعدّى اختيار مجرد نائب عن الفصل، ولكن المسألة بالنسبة إلينا كانت تُعادل في الأهمية اختيار رئيس وزراء دولة. ووقعِ الاختيار على "شارل - أنطوان" الذى أعتبره ملك النمل. وكنتُ راضيةً عن هذا الاختيار.

ولكن المُفاجأة السارة أنه دعاني لأذهب معه. وقال لي:

- معًا؛ سنكون أقل إثارةً للشكوك.

وحاولتُ أن أخفي سعادتي البالغة بدعوته. ولكن عندما صحتُ: "هيبيه"؛ افتضحَ أمري. وفي تلك اللحظة، اكتشفتُ أن عينَي "شارل - أنطوان" تُشبهان في خضارهما لون عيني قطتي "بوتين".

وشعر كلٌّ منَّا، في البداية، بشيء من الحرج وهو يسير إلى جانب الآخر. ولكنِّى قُلتُ لـ "شارل - أنطوان" إننى أُعجَبتُ بنمله، فوعدَ بدعوتى للذهاب عنده؛ حتى أراه. ثمَّ تحدَّثنا عن الحشرات إلى أن بلغنا الشارع الذى تسكنه الآنسة "شارلوت".

كان المنزل أحسن حالاً مما تخيَّلته. وكانت ستائر جميلة مُزيَّنةٌ بالورود مُسدلةٌ على نوافذهِ و... وخمسة ظرابين على عتبته.

ولكنها ظرابين من الجبس! وهكذا لن تغمرنا برائحتِها الكريهة. وضحكتُ لهذه الفكرة. إنها إحدى تفانين الآنسة "شارلوت". حديقةٌ من الظرابين أمام منزلها!

طرقَ "شارل - أنطوان" الباب، وانتظرنا كثيرًا. ثمَّ طرق الباب من جديد ثلاث مرَّات. وأحصيتُ فى ذهنى عدد المرَّات التى طرقَ فيها الباب إلى أن بلغت خمسين مرَّة. ولم يكن من مُجيب.

وعندئذ ساورتنى الرغبة فى البكاء، هكذا إلى جوار "شارل - أنطوان"، أمام باب الآنسة "شارلوت"، والظرابين الخمسة تُحدِّق فيَّ.

لقد تركتنا مُدرِّستنا حقًا. ولكن بسرعة هكذا!!

واقترح "شارل - أنطوان" قائلاً:

- تعالَ! سننظرُ من النوافذ.

واستطعنا أن نرى، من بين الستائر، منضدة مطبخ. كانت توجد عليها قُبَّعة كبيرة؛ كقُبَّعات الساحرات.

كانت الآنسة "شارلوت" لا تزال تسكن هنا! لم تكن قد رحلت بعد.

ولم يكن هناك صندوق بريد؛ فوضعنا الخطاب تحت القدمين الأماميتين لتمثال ظربان. وبذلك سيكون مرئيًا ولن يذهب مع الريح.

وهكذا عند عودتها من حيث ذهبت، ستتمكَّن الآنسة "شارلوت" من قراءة ما كتبناه لها:

عزيزتنا الآنسة"شارلوت"،

كل الفصل حزين. نحن نفتقد حكاياتك، ونفتقد "چيرترود"، ونفتقد المكرونة "الإسباجيتى" التى كنتِ تأتين بها لنا.

نحن نفتقدك، يا آنسة "شارلوت".

لم نكن نعرف أنكِ حساسة إلى هذا الحد للشجار. لم نكن نستطيع أن نخمِّن ذلك... .

أنتِ مُختلفة، يا آنسة "شارلوت". ولكننا نُحبك كما أنت. لذلك، إن عُدت، فإننا لن نتشاجرُ أبدًا، بما أنكِ حساسة إلى هذا الحد للعنف. نعدك. لن يكون هذا سهلاً، ولكن ليكن.

عودى، يا آنسة "شارلوت". نحن نرجوك.

ووقَّع كل الفصل على الخطاب؛ فتناثرت الأسماء على الورقة.

الفصل الخامس

غوريللا تتجشأ



الغوريللا

تنتمى إلى فصيلة القردة وهى أكبرها حجمًا؛ حيث يصل وزنها إلى نحو ٥٠٠ كيلو جرام.

أثبتت الدراسات الحديثة أنها تميل للانطواء ولا يتسم سلوكها بالعدوانية إلا فى حالة الاعتداء عليها؛ حيث تُصبح شديدة البطش لقوتها الهائلة.

والغوريللا حيوانٌ نباتى يعيش فى جماعات تتراوح ما بين ٢٠ و٣٠ فردًا. ويبقى الصغار بصحبة آبائهم حتى سن البلوغ فى نحو ١٤ عامًا.

وتنقسم الغوريللا، من حيث البيئة التى تحيا فيها، إلى نوعين :

١- غوريللا السهل التى تعيش فى الجابون وزائير والكاميرون.

٢- وغوريللا الجبال التى تعيش على ارتفاعات تصل إلى ٣٥٠٠ م.

والغوريللا ليس لها أعداء إلا نادرًا، وهى تُدافع عن صغارها ضد الفهود وغيرها من الحيوانات المفترسة. ولا يعكر صفو حياة الغوريللا إلا الإنسان الذى يأسرها ويصطادها، أو يقتلها عقابًا لها على إتلافها للمزروعات التى تتغذى عليها، كما يقطع الرعاة والمزارعون وتُجّار الأخشاب أشجار الغابات؛ فيحرمونها من مسكنها الطبيعى وغذائها من النباتات. (المترجمة)

كان الفصل صامتًا، فى صباح اليوم التالى. كنًا ننتظر، وقلوبنا تدق فى ترقُّبٍ؛ هل ستعود الآنسة "شارلوت"؟

عندما سمعنا، فجأة، وقع خطواتها المُميزة فى الردهة: "تيك، تيك!" فاجتاحت الفصل عاصفةٌ من التصفيق؛ إذ كنًّا فى منتهى الفرح.

ودخلت مُدرِّستنا الجديدة الفصل، وتوجَّهت بهدوء إلى النافذة؛ كى تتأمل المنظر قليلاً، كما فى صباح اليوم الأول لمجيئها. ثمَّ جلست، وخلعت فى رقةٍ قُبَّعتها، ودغدغت قليلاً "جيرترود". وعادت الحياة إلى طبيعتها. وكنًّا سُعداء.

وفى هذا الصباح، وفى أقل من ساعتين، قُمنا بدراسة ثلاث صفحات من الفرنسية وعمل أربعة تدريبات من الحساب. وجَدَّ الجميع فى العمل. وبعد ذلك، حكت لنا الآنسة "شارلوت" قصة:

اختطف اللصوص الطفلين، "أناتول" و"فابيان"، عند خروجهما من المدرسة. وبعد عدَّة أيامٍ من التنقُّل فى حقيبة الشاحنة، نجحا فى الهرب واكتشفا - هل هذا مُمكن؟ أنهما فى قلب الغابة. كان الجو خانقًا ودرجة الحرارة لا يُمكن احتمالها. واجتاحت النباتات العملاقة الأجواء، وكان المُتسلِّق منها يتدلَّى من السماء، وكانت طيورٌ عجيبة الشكل تُطلق صيحاتٍ حادة.

وفجأة، انتبه الطفلان إلى حفيف أوراق الأشجار. كان شخصٌ أو شيءٌ يتقدَّم نحوهما بخُطى مكتومة ... واقتربت الخطوات. ورأى "أناتول" و"فابيان"، في فزعٍ، كتلةً داكنة اللون تتقدَّم ببطءٍ بين الأحراش. واختلطت الصيحات بالزمجرة. إنه فهدٌ ... .

وتصوَّر الطفلان نفسيهما وقد تحوَّلا إلى غذاءٍ في أحشاء الحيوان المُفترس. وفي تلك اللحظة، رفعهما حيوانٌ ضخم كثيف الشعر من على الأرض.

وحملهما الحيوان واخترق، في سرعةٍ كبيرة، النباتات المطاطية[١] المُنتشرة في الغابة. ربما أن "أناتول" و"فابيان" قد نجيا من مخالب الفهد، ولكن في براثن أي مخلوقٍ عملاق وقعا الآن؟ كانت ضربات قلب الحيوان يتردَّدُ صداها في أُذنيهما. يا له من صوتٍ هائل! كما أن رائحةً كريهة كانت تنبعث من هذا الحيوان الضخم. وكان شعره الخشن الطويل يحك خدَّي الطفلين، ولكنهما كانا يشعران، على الرغم من ذلك، بالاطمئنان.

وفجأة، صرخ "أناتول":

- غوريللا!

لقد أدرك لتوِّه الأمر .

(١) أسلوب الكاتبة في التعبير عن طبيعة النباتات. (المترجمة)

وهنا توقفت الآنسة "شارلوت" عن الكلام وهى تَعد باستكمال القصة فى اليوم التالى. ولم نكن نطيق الانتظار!

والأعجب هو ما كان يحدث لنا وليس لشخصيات القصص؛ فلم نكن نستمع إليها فحسب، وإنما كنّا نعيشها عن حق.

فقد كنتُ أستطيع أن أصف أدق تفاصيل حقيبة الشاحنة التى حُبس فيها الطفلان. كانت هناك سلسلةٌ صدئة فى أحد الأركان وبجوارها علبة مأكولات محفوظة مفتوحة لا يزال قاعها يحتفظ ببعض بقايا الصلصة المُتعفنة. ولاحظتُ أن الغوريلا، فى عدوها، قد وطأت حشرةً كبيرة بنفسجية اللون. وكنتُ لا أزال أذكر حتى صوت سحق الحشرة "كراش"؛ والسائل الأصفر المُقزز الذى تدفَّق منها!

من أين أتت علبة المأكولات والحشرة الكبيرة؟ لم تكن الآنسة "شارلوت" قد ذكرت هذه التفاصيل، على الإطلاق، وهى تحكى القصة. ولم أكن الوحيدة التى رأت، وشعرت، وسمعت بهذه الأشياء الغريبة.

فقد أقسمَ "مايكل" أن عصفورًا جميلاً، ذا أجنحة كبيرة تُماثل قلاع السفن، وريش أبهى مئات المرات من ريش الببغاء الإستوائى، قد حطَّ على كتفه. فى حين رأت "آن - صوفى" ثُعبانين يُصفِّران بين قدميها. وشعرت المسكينة "جوديت" بالغثيان من رائحة الغوريلا.

واعتبارًا من ذلك اليوم، كانت الآنسة "شارلوت" تقصُ علينا، كل صباحٍ، حلقات جديدة من مغامرات الغابة. أمّا باقى النهار، فقد كان كلّ منا يتفرَّغ لمشاريعه الخاصة.

وكانت العصبية والقلق يتَمكّنان من السيد "كراكبوت" كل يوم أكثر مما قبله؛ فقد كان دمه يغلى، ويشد شعره، ويقرض أظافره. ولم يعد مُديرنا يكتفى بلصق أنفه الكبير، لبضع ثوانٍ، على زجاج باب فصلنا، وإنما كان يدخله، فى أى لحظة، دون استئذان.

وفى عصر أحد الأيام، فتحَ الباب بينما كان "فريدريك"، عبقرى الميكانيكا والإلكترونيات وكل ما هو آلى، ينتهى من فك ساعة الفصل. فتحوّل وجه السيد "كراكبوت" إلى اللون الأحمر؛ ولكن الآنسة "شارلوت" طمأنت مديرنا بصوتها الرقيق قائلة:

- فى خلال ساعة أو اثنتين ستُعلّق الساعة على الحائط من جديد وستسير عقاربها كما كانت.

وفى مرةٍ أخرى، دخل السيد "كراكبوت" بينما كان "ماتيو" و"چوزيه" ... يُقبّلان بعضهما بعضًا! وأسرعت الآنسة "شارلوت" بتفسير الموقف بأن الحبيبين كانا يقومان بأداء مشهد من مسرحية "روميو وچوليت" للكاتب الإنجليزى الشهير "شكسبير". وكان هذا حقيقيا! حتى إنٍ "ماتيو" و"چوزيه" حفظا دوريهما عن ظهر قلب. ولكن مديرنا أكد، فى نبرةٍ مُستنكرة، أن الأطفال فى سن الثانية عشرة يجب ألا يُقبّل بعضهما بعضًا مثل الكبار. وأضافَ مُستشيطًا:

- هذا يجب ألا يحدث على الإطلاق سواء أكان تمثيلاً أم لا!

وبعد بضعة أيام، جاء دور الآنسة "لاميرلوت"، مُدرِّسة الفصل المُجاور، لتصفع الباب في غضب. فقد جاءت لاقتراض قطعة طباشير، ولكن المنظر الذى رأته أمامها أنساها للتو ما جاءت من أجله. كانت "رينية" تُنظِّف مكتب الآنسة "شارلوت" الذى كان يسبح في بحرٍ من الرغوة الخضراء التى تنبعث منها رائحة كريهة؛ تُشبه رائحة البيض العفن. مسكينة "رينية"! لقد أخفقت فى تجربتها العلمية.

كان التوتر يتصاعد فى المدرسة يومًا بعد الآخر. وكان تلاميذ الفصول الأخرى يسألوننا باستمرار عن الآنسة "شارلوت"، واتصل الكثير من أولياء الأمور بالمدير للسؤال عن مَن أطلق عليها اسم "المُدرِّسة العجيبة".

ربما كان يجدرُ بنا أن نتوقَّف، لبعض الوقت، عن التخطيط لمشروعاتٍ جديدة. ولكن الأمر كان مُثيرًا للغاية... ثُمَّ، يُمكننا القول بأن الآنسة "شارلوت" كانت تمنحنا قوتَها؛ فقد ازدادت ثقتنا بعض الشيء فى أنفسنا. هذا يحدث عندما نحظى بمُدرِّسةٍ تسيرُ فى الردهة بخطى صغيرة سريعة وهى تُغرد كالعصافير، وعلى رأسها قُبَّعة عجيبة، وفى كف يدها "زلطة"، وهى لا تعبأ- على الإطلاق- بما يقوله أو يظنه الناس من حولها، مادامت لم تؤذ أحدًا أو تُقصِّر فى أداء واجباتها.

مرَّ أكثر من شهرٍ على عمل الآنسة "شارلوت" بالمدرسة، عندما جاءت والدة "كاترين"، فى عصر يوم خميس، لتصطحب ابنتها فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر؛ للذهاب إلى طبيب الأسنان. المُشكلة فى أن والدة "كاترين" فتحت باب الفصل فى اللحظة التى نجح فيها فأر "فرانسوا" المُدرَّب فى القفز للمرة الرابعة من فوق العُقلة.

كان "فرانسوا" يُدرِّب فأره منذ أسابيع؛ فقد قرأ عدة كتبٍ عن فن تدريب الحيوانات، وصنع عُقلةً، كما فى السيرك، ولكن صغيرةً لتَتَناسب مع حجم الفأر.

ويبدو أن والدة "كاترين" لم تكن تعرف الفارق بين الفأر والديناصور؛ فصرخت بعلو صوتها عندما رأت فأر "فرنسوا"، فهرول السيد "كراكبوت" ولفيفٌ من المُدرِّسين إلى الفصل. وفى تلك المرَّة، لم يرد المدير سماع تفسيرات الآنسة "شارلوت" للموقف، وطرد "فرانسوا" وفأره.

وفى اليوم التالى، قدَّمَ "لويس- فيليب" بحثًا عن مظاهر الحياة فى العصور الوسطى. وكان قد قام بعمل بحثٍ جيد عن الموضوع. ولكن السيد "كراكبوت" أساء، من جديد، اختيار الوقت ليُراقبنا. فقد كان "لويس - فيليب" يشرح كيف كان الناس يأكلون بأيديهم فى تلك

الحقيبة. وحتى يجعل شرحه واقعيًا، أحضر معــه فطــائر محــشوة بالخضروات، وأخذ يأكلها بيديه أمامنا دون أن يــستخدم شــوكة أو ملعقة. فاتسخت يداه، وذراعاه، وخدَّاه، وأنفه، حتى حاجبــاه، بحــشو الفطائر من بطاطس مهروسة، وحبَّاتِ ذرة، وقطعٍ صغيرة من اللحم.

في تلك المرَّة، لم يقل السيد "كراكبوت" شيئًا، وإنَّما أغلق الباب من ورائه. غير أن أسلوبه لم يكن ينبئ خيرًا، وشــعرتُ بالقــشعيرة تسري في جسدي.

وعلى مدى بضعة أيام، لم يُزعجنا أحد. وفي يوم الاثنين مــن الأسبوع التالي، نسيتُ المنبه الخاص بي في درج مكتبي بالمدرســة بعد أن استخدمه "ماريو" في عرض مشروعٍ له. وكان جــرس هــذا المنبه كفيلاً بأن يوقظ ديناصورًا من نومه؛ ففكَّرتُ فــي أن أســترده دون إبطاء.

لم تكن الساعة قد تخطَّت الثالثة وخمسًا وأربعين دقيقة، وكانت سيارات المُدرِّسين لا تزال تملأ المساحة المُخصصة للرُّكن. ولكــن أروقة المدرسة كانت تبدو خاليةً وهادئة على عكس العادة.. وسَمِعتُ أصواتًا وأنا أمرّ من أمام فصل الآنسة "لاميرلوت"؛ فاختلستُ النظــر من وراء زجاج الباب، ورأيتُ كل المُدرِّسين مُجتمعين حول الــسيد "كراكبوت" ... كل المُدرِّسين ما عدا واحدة: الآنسة "شارلوت".

فألصقتُ أذنى بالباب؛ لأسمع النقاش. وبعد بضع دقائق، كدتُ أصرخ ... وبدأت ساقاى فى الارتعاش.

وانتابتنى رغبةٌ جارفةٌ فى الهرب، ولكنّنى نجحتُ فــى كــبح جماح نفسى. كان يجب علىَّ أن أفعل ذلك. ومــشيتُ بــبطء دون أن أتسبب فى طقطقة ألواح الخشب؛ ولكن عندما خرجــتُ مــن بــاب المدرسة، جريتُ كما لو كان كل حيوانات الغابة يتعقبنى.

جريتُ مُباشرةً حتى وصلتُ إلى منزل "شارل – أنطوان".

الفصل السادس

مَدْرسة زائفة؟!

حكيتُ كل شيء لـ "شارل – أنطوان".

اكتشفَ السيد "كراكبوت" أن الآنسة "شارلوت" لم تكن مُدرِّسة حقيقية. ولم تكن لديها شهادات تؤهلها لمُمارسة هذه المهنة! وكانت قد ذكرت أنها قامت بالتدريس في عدَّة مدارس... ولكنها مدارس وهمية. وكان المدير بصدد عقد مجلس لأولياء الأمور مساء اليوم التالي؛ فقد كان يُريد فصل الآنسة "شارلوت" من المدرسة.

وبرمتُ، من فرط انفعالي، غطاء سرير "شارل – أنطوان" وأنا أتكلم. وخجلتُ من نفسي وأنا أرى الغطاء مُجعَّدًا من حولي. ولكن "شارل – أنطوان" ابتسمَ لي وأمسكَ بيدي؛ فهدأْ من روعي. وقررَ قائلاً:

– يجب أن نُخبر كل التلاميذ.

كان "شارل – أنطوان" يبدو واثقًا من نفسه وعازمًا على تنفيذ ما يقوله. وأضافَ بصوتٍ حازم:

– سننقذ الآنسة "شارلوت".

في تلك اللحظة، جاءتني فكرة لا أعرف من أين، ولم أكن أعرف إن كانت خطتي ستفلح، ولكن ليكن. كان يجب أن نُجرِّبها.

واستمعَ إليَّ "شارل – أنطوان"، مرَّةً أخرى، دون أن ينطق بكلمة. وصفقَ قبل أن يصيح:

– إلى العمل!

كانت أمامنا مُهمَّةً كبيرة.

الفصل السابع

المسرحية

تلقّى كل تلاميذ المدرسة، فى اليوم التالى، رسالةً لتسليمها إلى أولياء أمورهم فحواها: اجتماع خاص، فى الساعة السابعة مساءً، فى قاعة اجتماعات المدرسة. كان السيناريو يسير بالضبط كما كنّا نتمناه.

وكان تلاميذ فصل الآنسة "شارلوت" قد تَلَقُّوا رسالةً أخرى عند وصولهم إلى المدرسة ... رسالةً سرّية، كتبها "شــارل – أنطــوان" وأنا، موجّهةً خصيصًا إليهم وليس إلى أولياء أمورهم.

كانت خطتنا تسير على خير ما يُرام.

واجتمع فصلنا، خلال الغداء، فى الغابة الصغيرة التى اعتــاد "ماتيو" و"چوزيه" أن يُقبّلا بعضهما بعضًا فيها. وعرضــتُ فكرتــى، ووضعنا معًا قائمةً بكل ما تبقّى علينا تحضيره.

واتفقنا على أن نلتقى فى الساعة السادسة مساءً؛ فلم يكن ينبغى أن يرانا أولياء الأمور على الإطلاق!

وفى نحو الساعة السادسة والأربعين دقيقةً، دخلَ السيد "كراكبــوت" قاعة الاجتماعات بصحبة بعض المُدرّسين. وبعد قليل، حــضرت بــشائر أولياء الأمور؛ وامتلأت قاعة الاجتماعات فى السابعة مساءً.

وكرّرَ السيد "كراكبوت" الكلام نفسه الذى سبق أن قالــه فــى فصل الآنسة "لاميرلوت". وعبّرَ الكثير مــن أوليــاء الأمــور عــن استيائهم بصوتٍ مُرتفع قائلين:

- هذا غير مقبول!

- ربما كانت هذه المرأة خطرة!

- يجب أن نتصرف بسرعة ... .

- ولا يجب فصلها من المدرسة فحسب ... وإنما مُلاحقتها قضائيًا!

وحينئذ، أعطى "شارل – أنطوان" الإشارة المُتفق عليها؛ فرُفعَ الستار الأحمر السميك، وفوجئ الحضور من الكبار بفصل الآنسة "شارلوت" أمامهم على خشبة مسرح قاعة الاجتماعات.

كان التلاميذ ينتظرون، في صمتٍ، مجيء مُدرِّستهم الجديدة.

كانت هذه خطتي: بدلاً من أن نشرح لأولياء الأمور أن الآنسة "شارلوت" لم تكن خطرة، وأننا نحبها كثيرًا، وكنا نتعلّم معها الكثير، فكرتُ في أن نريهم كل هذا عمليًا كما لو كانت مسرحية.

ولَعبتُ دور الآنسة "شارلوت"؛ مما اضطرني إلى قضاء جزء من الليلة التي سبقت العرض في تحويل قُبّعة الساحرات التي ارتديتها في حفلة "الهالوين" التنكرية، إلى شكل قُبّعة الآنسة "شارلوت". وأعارني "شارل – أنطوان" أحد ثياب جدته، وحذاءً برقبة مُخصصًا للسير مسافات طويلة.

لقد حان دوري الآن ... كان عليَّ أن أظهر على خشبة المسرح وأُقلّد الآنسة "شارلوت". ولكن القلق انتابني في "الكواليس" خلفية المسرح ... كنتُ أشعر باضطرابٍ فظيع؛ حتى إنني كدتُ أهرب!

كان مُستقبل الآنسة "شارلوت" يتوقّف عليَّ. ولم تكـن أمـامى سوى دقائق معدودة؛ لأجتذب انتباه أولياء الأمور كافة، وأقنعهم بعدم فصل مُدرِّستنا الجديدة من المدرسة.

كان الحضور ينتظرون، ولكننى لم أقوَ على الحِراك، وبقيـتُ فى مكانى وكأن قدماى قد غاصتا فى الأرض. وحتّى أتشجَّعُ، رفعتُ قُبَّعتى الكبيرة والتقطت "الزلطة" الصغيرة من على رأسى.

إنها ليست "چيرترود"، وإنما مُجرد "زلطة" صغيرة لا قيمة لها. غير أننى كنتُ فى غاية الاضطراب، وكانت تلك "الزلطة" تبدو أفضل من لا شىء.

وعندئذ، تحدثتُ إليها قائلة:

- مرحبًا ... يا "جميلتى"! نعم ... أنا خائفة. إنه موقفٌ سيئ، هه؟ إنه هكذا ... أنا أخشى أن يضحكوا علىَّ ... أخشى ألا يفهمونى ... أخشى أن يفصلونى من المدرسة ... .

وفى تلك الأثناء، شعرتُ بإحساسٍ غريب ... شـعرتُ بـأننى أصبحتُ الآنسة "شارلوت" ... شعرتُ بأننى أماثلها فى العمر والقوة.

وأعدتُ "چيرترود" إلى مكانها أسفل قُبَّعتى، وسرتُ ببطءٍ حتى منتصف خشبة المسرح. وهنا، سرحتُ قليلاً وأنا أبتسم بلطـف. ثـمَّ

جلستُ خلف مكتب الآنسة "شارلوت"، ورفعتُ برقة قُبَّعتى الكبيرة – التى تُشبه قبعات الساحرات، ولكن تاج هذه القُبَّعة كان مُستديرًا وليس حادَّ الشكل – والتقطت "زلطتى" الغالية. وربتتُ عليهـا قلـيلاً. ثـمَّ انهمكتُ معها فى الكلام ... .

وقلتُ لـ "زلطتى" كل ما كان يُضايقنى. وكنتُ أتكلَّم بـصوت عالٍ؛ حتى يسمعنى جيدًا الثلاثمئة شخص المُجتمعون. فقد كان يجب أن يكتشفوا ويُدركوا أى نوعٍ من المُدرِّسات أكـون. ثـمَّ وضـعتُ "چيرترود" فى هدوءٍ على مكتبى.

كانت أحداث الفصل الثانى من المسرحية على وشك أن تبـدأ. وامتحنتُ أثناءه التلاميذ فى اللغة الفرنسية والحـساب؛ حتـى أُثبـتُ للجميع أن الآنسة "شارلوت" كانت تُجيد الشرح.

كان التلاميذ رائعين. وصاحت والدة "فرانسوا": "برافو!" عندما تَهَجَّى ابنها كلمة "استثناء" دون أن ينسى حـرف "الثـاء". ونجحـت "ماريـز"، التى لم تكن تعـرف شـيئًا عـن الحسـاب قبل مجـىء الآنسة "شارلوت"، فى حل أربع مسائل ضرب مُعقدة، الواحـدة تلـى الأخرى.

وقدَّمَ ثلاثة تلاميذ أبحاثًا. ولكن، فى هذه المـرة، لـم يتطفَّـل عليهم السيد "كراكبوت" والمُدرِّسون وأولياء الأمور، كما كانوا يفعلون

دائمًا ونحن فى الفصل؛ فقد كانوا مدعوين لحضور الشرح بأكملـــه. وعندما أعادَ "لويس - فيليب" شرح بحثه عن مظـــاهر الحيـــاة فـــى العصور الوسطى، وأكلَ الفطائر المحشوة بالخضروات بيديه، ضحكَ الكثير من أولياء الأمور من قلوبهم على العرض المُمتع الذى قدَّمه.

وحتى أختتمُ المسرحية، قررتُ أن أرتجل؛ فلم أكن قد أعددتُ الفصل الثالث، ولكن ليكن ما يكون. وهكذا، أمام الجميـــع، ودون أن أفكِّر، أو حتى أقلق من الذى سوف أقوله ومن رد فعـــل الحـــضور، قمتُ بتأليف قصة. ولم أكن أعلم من أين جاءت هذه القـــصة وكيـــف انتهت ... وفى نهايتها لم أعد أذكرها تقريبًا.

كل ما أذكره منها أننى كنتُ أتقدَّم وأنا أحبو على أربـــعٍ فـــى ممرٍ ضيق بأحد الكهوف ... وأيقظَ نور مصباحى الصغير المُـــسلَّط على الجدران ملايين الأحجار الصغيرة التى كانت تلمع بصورةٍ غير عادية؛ ولم أكن أشعر بالخوف أو البرد. هذا كل ما كنت أذكره مـــن القصة ... .

آه! ثمَّ لا ... كان هناك ... نعم ... نعم ... أشخاص؛ رجـــالاً ونساءً، وبلا شك، أطفالاً فى حجم الفئران أو حتى صـــغارها. لا ... بل إنهم أصغر منها. أهم جنّ صغير؟ أم مخلوقاتٌ صغيرة جدًا؟

وكانوا يتسلقون الجـــدران بواســـطة حبـــالٍ صـــغيرة تـــصلهم ببعضـــهم بعض.

كنتُ مبهورةً!

وفجأة، اهتزت الأرض كما لو أن ماردًا نائمًا قد استيقظ من نومٍ عميق. هل تحولنا إلى أقزامٍ في كهفٍ أم كنًا في أحشاء غول؟

وحينئذ، تصدَّعت الجدران و ... .

ولكن هذا كله غير مهم. ما يُهم هو أنه في اللحظة التي أسدل فيها "شارل – أنطوان" الستار، خيَّمَ صمتٌ ثقيل على القاعة ... لم يكن هناك صوتٌ واحد على مدى نحو عشر ثوان دقَّ قلبي خلالها كالمجنون.

وفجأة، علا التصفيق. أخيرًا! لقد نجحنا! كنتُ شبه مُتأكدةً من ذلك.

وتحدَّث السيد "كراكبوت". وبصراحة، أثارَ إعجابي قليلاً. فقد اقترحَ مُديرنا عدم اتخاذ قرار سريع، ووعدَ بلقاء الآنسة "شارلوت"؛ لتشرح له قصة شهادات التخصص في التدريس التي تنقص ملفها. كما وعدَ بأنه لن يمنعها من مُمارسة التدريس بطريقتها، ولكنه سيوصيها بعدم تجاوز بعض الحدود. أعتقدُ أنها اقتراحات جيدة.

وأعلنَ، أخيرًا، بصوته الجهوري الجاد: لديَّ أملٌ كبير في أن نصل إلى اتفاق.

في تلك المرة، صفقنا بحرارةٍ من خلف الستار.

ولكن قصة الآنسة "شارلوت" لم تكن قد انتهت بعد.

الفصل الثامن

ملايين القُبلات وتذكار صغير

كان يجب أن أكون راضيةً؛ فقد هنأني كل أصدقائي ونحن ننقل مكاتبنا مرةً أخرى إلى الفصل المُجاور.

وصحبني "شارل – أنطوان" إلى المنزل وتحدثنا عن المشروعات الجديدة التي يُمكن أن نقوم بها، ولكن قلبي كان مُنشغلاً.

ولم أستطع، فيما بعد، أن أنام. كان هناك شيءٌ ... إنها ذكرى ... أو صورة ... كانت تُشغلني.

وفجأة، صحتُ: آآآه!

فقد مرَّ بذاكرتي، لبُرهةٍ، أنني رأيتها.

حدثَ هذا بينما كنتُ أتقمَّص شخصية الآنسة "شارلوت"، على خشبة مسرح قاعة الاجتماعات، وأحكي القصة التي ارتجلتها. كنتُ أصف الكهف ذا الجدران اللامعة، عندما رأيتها.

لقد رأيتها تطل من نافذةٍ جانبية تعلو أحد جدران قاعة الاجتماعات.

لقد رأيتُ الآنسة "شارلوت" ... كانت تنظر إليَّ ... وتبتسم.

ثمَّ، اختفت.

فارتديتُ ملابس الخروج فوق قميص نومي وجريت نحو الباب. كان الجو جميلاً في الخارج.

وكدتُ أتوه؛ فلم أكن أتردد كثيرًا على هذه المنطقة، خاصـــة في الليل! ولكنى سرعان ما عرفتُ الشارع الـذى تـسكنه الآنـسة "شارلوت" .

كان "شارل – أنطوان" موجودًا أمام المنزل بالقرب من تماثيل الطرابين. لقد خمَّنَ ما حدث.

لقد رحلت مُدرِّستنا الجديدة ... هربت خلال اجتماعنا فى قاعة المحاضرات.

فجلستُ بجانب "شارل – أنطوان" ... وأسندتُ بهدوء رأســى على كتفه ... هناك لحظاتٌ فى الحياة تتطلَّب وجود أصدقاء حقيقيين.

كان "شارل – أنطوان" يمسكُ برسالةٍ بين يديه؛ فقرأتُ بـبطء ما كتبته الآنسة "شارلوت" قبل أن ترحل:

أصدقائى الأعزاء،

لقد أمضيتُ أسابيع رائعة معكم. أشكركم ...

كنتُ أريد أن أبقى معكم وقتًا أطول، ولكن مدرســة أخــرى، بعيدة جدًا عن هنا، تحتاجُ إلى خدماتى؛ فقد مــرض مــدرس الــسنة الخامسة الابتدائى ويحتاج إلى مَن يحل محله طوال فترة مرضه ...

أعلم أنكم تستطيعون التصرُّف بدونى الآن؛ فكلٌ منكم تملأ المشروعات رأسه ولديه الملايين من القصص التى تُدغدغ ذهنه. أخبروا مُدرِّسكم الجديد بها، لا تخافوا. أنا واثقة من أنه – أو أنها – ستفهم.

سأذكرُ دائمًا كلاًّ منكم، وأتمنى أن تتذكرونى كلَّما فعلتم شيئًا مما تعلَّمناه معًا.

لكم منى ملايين القُبلات،

الآنسة "شارلوت"

ملحوظة: رأيتُ، عصر اليوم، فتاة صغيرة تُشبهنى كثيرًا على خشبة مسرح قاعة الاجتماعات. وأنا أعهدُ إليها بـ "چيرترود"؛ فقد تعبت "عزيزتى المسكينة" من كثرة الترحال ... ربما أجىء، ذات يوم، لأصطحبها.

وانحنى "شارل – أنطوان" ورفع أحد تماثيل الظرابين؛ فوجدَ "چيرترود". كانت تبدو صغيرة جدًا ووحيدة. فوضعتها فى يدى وربَّت عليها قليلاً.

النهاية

تعيش "جيرترود" معى منذ شهرين، وأتكلمُ معها باستمرار كل يوم. وفى كل مرةٍ، أتذكَّر الآنسة "شارلوت".

وأظنُّ، أحيانًا، وأنا أسيرُ فى الطريق، أننى أرى مُدرِّستى المحبوبة. فعندما أرى سيدة نحيفة، وطويلة القامة، وعجوزًا، أتصوَّرها بقُبَّعةٍ تُشبه قُبَّعات الساحرات، ولكن ذات تاج مُستدير بدلاً من التاج حاد التصميم الذى يُميز تلك القُبَّعات.

وفى كل مرةٍ أُصابُ بالإحباط عندما أكتشف أنها ليست الآنسة "شارلوت".

جاءَ مُدرِّسٌ جديد فى فصلنا، بدلاً من الآنسة "شارلوت"، اسمه "هنرى" وهو لطيف؛ فقد وافق على أن نعمل بجدٍ كبير فى الصباح؛ كى نتفرَّغ لمُمارسة هواياتنا بعد الظهر. ولكننا نشتاقُ، مع ذلك، للآنسة "شارلوت".

نشتاقُ إليها كثيرًا جدًا.

قريبًا، سينتهى العام الدراسى. وأنا فى غاية الاشتياق للإجازة الصيفية! وفى شهر سبتمبر، لن يعود الأستاذ "هنرى"، وكذلك مدام "چيرمان"؛ فقد قررت أن تقضى العام الدراسى الجديد إلى جوار طفلها الصغير لترعاه.

أنا أسألُ نفسى عما سيكون عليه شكل مُدرِّستنا الجديدة! سيكون أمرًا مُثيرًا جدًا إن عادت الآنسة "شارلوت"!

أتصوَّرُ أحيانًا، فى المساء، وأنا أتحدَّث إلى "چيرترود"، أن الآنسة "شارلوت" تسمعنى. وأقولُ لنفسى لربما كان ظنى الأول صحيحًا: فماذا لو كانت الآنسة "شارلوت" قد جاءت من كوكبٍ آخر؟ ربما كانت، فى تلك اللحظة، تسبح فى الفضاء على بُعد مليارات السنوات الضوئية منًّا، ولكنها ترى وتسمع كل شىء عن طريق "زلطتها".

أعرفُ أن هذا جنون. ولكن ألا توجد وسيلة نعرفُ بها أين ذهبت الآنسة "شارلوت"؟!

المؤلفة في سطور:

دومينيك دومير

كاتبة كندية مُتعددة المواهب وُلـدت عـام ١٩٥٦ بمقاطعـة "أونتاريو"، وتعيش حاليًا بمدينة "مونتريال" مـع زوجهـا وأطفالهـا الثلاثة بصحبة كلب وقطتين وفأر صـغير مـن نـوع "الهامـستر"، وتخصصت "دومينيك دومير" في أدب الأطفـال الـذي شـغفت بـه واستحوذ على اهتمامها؛ فنالت عنه درجتي "الماچيستير" و"الدكتوراه" والعديد من الجوائز القيمة. كما عملت صحفية في عدد من المجلات والصحف الكندية، قبل أن تتفرغ للكتابة للأطفال، ونالت كذلك، فـي هذا المجال، الكثير من الجوائز القيمة. بعد أن عملـت فـي الحقـل الصحفي والأدبي والنقدي، اتجهت "دومينيـك دوميـر" إلـى كتابـة سيناريو قصصها الناجحة؛ لتحويلها إلى أفلامٍ يستمتع بها عُشاق أدبها وإبداعاتها في أدب الأطفال.

المترجمة فى سطور:

أمل راغب

صحفيةٌ دولية وكاتبة، عضو بـ "اتحاد الصحفيين الدوليين" بـ "بروكسل" (IFJ)، و"جمعية الصحفيين المستقلين" بـ "شمال أمريكا" (AJIQ). كما أنها عضوٌ شرفى بنادى صحافة "ليموزين" بـ "فرنسا". وهى تُمارس الترجمة إلى جانب عملها صحفية، وتقومُ بالتدريس الجامعى ولها مؤلفات أدبية وشعرية باللغة الفرنسية.

التصحيح اللغوى : كريمان البدرى

الإشــراف الفنى: حــسن كامــــل